حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٨)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الامتدادات الجيوسياسية في الشرق الأوسط ودورها في إعادة توزيع القوة

أحمد داود حميد العيساوي *

العراق – جامعة الأنبار – كلية الآداب

المستخلص

بعد مئة عام من التوصل إلى ما عرف باتفاقية سايكس بيكو في العام١٩١٦بين بريطانيا و فرنسا وما ترتب عليها من تقاسم للنفوذ في منطقة الشام والعراق بين هذين المستعمرين . واليوم ،فإن علاقة صريحة تربط بين تصريحات مايكل هايدن مستشار الامن القومي الامريكي(٢٠١٤) وهذه التفاهمات بنظرة جديدة وبفاعلين جدد، سيما أنه عدَّ العراق وسوريا قد اختفيا فعليا ولم يعد لهما وجود على الخريطة،وبدا واثقاً بانهما لن يعودا كما كانا مطلقا. ومما يؤكد ذلك إن هايدن تحدث عن مصير مماثل لليبيا، وهي أيضا من الدول المرتبطة بتفاهمات سايكس ــ بيكو. إن خطط التقسيم تناقش اليوم رسمياً، ولا تقتصر على تصريحات ، وقد طرحت في مجلس النواب الأميركي من قبل خطة لتقسيم العراق إلى ثلاث دول ، وهي خطة تضاهي خطة برنارد لويس الشهيرة التي نشرت العام١٩٨٤بعد أزمة منع النفط العربي عن أوروبا، وتقوم على إعادة هندسة المنطقة العربية وفق معايير عرقية وطائفية وقبلية. وما يحدث في منطقة الشرق الأوسطلم يكن عشوائيا، فمنذ العام ٢٠٠٣ حيث الغزو الأميركي للعراق وربما قبله شرع بالتغييرات الجديدة عملياً، ثم إطلاق مصطلح (الفوضى الخلاقة) وما تلا ذلك من اندلاع ما سمي بـــ(الربيع العربي)، الذي دشن الفوضى وترجمها على أرض الواقع ثم ظهور تنظيم الدولة الإسلامية(داعش) وإعلانه سقوط سايكس ــ بيكو. إن هذه التطورات أسفرت بدورها عن اشتعال الصراع الإقليمي حول ما يوصف في الأدبيات البحثية بـــ(حدود الدم)، واحتدم التنافس بين القوى الإقليمية والدولية حول النفوذ والمصالح والتمدد الاقليمي ، ودخل الجميع دائرة الخطر، بمن فيهم ايران وتركيا والسعودية ، لمّا ادركوا ماهية السيناريو المستقبلي للمنطقة، وإذا ما أرادت التحكم في مساراته استدراكا لما فات من جهة والمحافظة على ما يتوفرالآن، إن كان في الوقت متسع، من جهة أخرى.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

المقدمة

شهد القرن العشرون نزاعات مسلحة في مناطق مختلفة من العالم وحروبا اهلية، وحروب حركات التحرر، إلى جانب صور العنف غير المسلح والتي تفاقم حجمها مع تناقضات المجتمع الرأسمالي مثل زيادة نسبة الفقر والعوز والبطالة واستبداد طبقة رأس المال العالمي من خلال الشركات العابرة للقارات وتحكم بعض الدول وخاصة الولايات المتحدة بمصير شعوب العالم في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا، وخاصة منطقة الشرق الأوسطالغنية بالنفط ولأهمية موقعها الاستراتيجي وما يجري الآن من مؤامرة غربية أمريكية أوروبية إسرائيلية يعززها غياب منظومة دفاعية عربية تعاكس هذا النهج الهادف إلى التحكم بمصير الشعوب العربية من خلال فرض نظام رجعي طائفي سيؤدي إلى تفكيك وتمزيق الأوطان والشعوب.

من الواضح ان الصراعات الماضية والحالية إنما تهدف لتثبيت اركان نظم سياسية بتقويض اركان نظم أخرى وعلى شكل سجال تاريخي واقتصادي وسياسي وعسكري يتخذ منها ولأجلها ذرائعاً لتحقيق امتدادا جيوسياسيا له اشكاله وابعاده واسبابه ومآلآته في النهاية ،وهذا البحث ،هو محاولة اكاديمية لوضع اليد لتلمس صنيعة الدول في امتداداتها الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسطواشكال هذه الامتدادات وابرز القوى الفاعلة فيه والمتأثرة به وما افضت أو ستفضي مستقبلاً إليه.

فرضية البحث

يفترض البحث وجود تسابق تاريخي ومصيري بين الدول الفاعلة عالمياً ،على تعددها وتعدد الفترات التي برز تأثيرها فيه،على افراغ نفوذها الجيوسياسي بالمنطقة باستغلال نقاط الخلل فيها والتحكم بمحاورها بادوات متعددة كالحروب الاستباقية وحروب الوكالة وصولا إلى رسم خرائط جديدة تمكن لهذا الامتداد الجيوسياسي من أخذ مداه فعلياً.

مشكلة البحث

تنبع مشكلة البحث من إشكالية ضعف المنظومة العربية والاقليمية في أخذ دورها كلاعب جيوسياسي فاعل في منطقة الشرق الأوسطوالتحول إلى عنصر سلبي يمتثل لمتحكمات خارجية تفرض إراداتها المتمثلة بالتجزأة والاضعاف المتعمد لدول المنطقة عموما والعربية خصوصاً والاستلقاء تحت التمدد الجيوسياسي الخارجي على جغرافية المكان الخاصة بشعوب وحضارات دول هي الأولى بالامتداد تاريخيا وجغرافيا.

حدود البحث

تمتد الحدود الزمانية للبحث للفترة ما بين اتفاقية سايكس– بيكو Syches Picot (Agreement) عام ١٩١٦ إلى الاتفاقات العالمية المعاصرة التي تتحدث عن تجزأة المجزأ وتقسيم المقسم ومنها اتفاقات لابروف – كيري

(The agreements of Sregey labrov- John Keery) عام ٢٠١٦ مروراً بمستجدات المراحل التي شملتها هذه الفترة الطويلة (مئة عام) من حروب وتبدلات ايدلوجية عالمية كالثنائية القطبية والنظام العالمي الجديد الذي بشّر به الرئيس الامريكي الاسبق جورج بوش الابن (٢٠٠١–٢٠٠٩).

اما الحدود المكانية فتتمثل بمنطقة الشرق الأوسطوبقدر ما يشوب الغموض التسمية وامتدادها المكاني فذلك يستتبعه بعض الغموض الجغرافي السياسي بالمكان في ثنايا البحث! فشمل البحث دول الجزيرة العربية وتركيا وايران واسرائيل ومصر والسودان على حسب تعلق الامتداد الجيوسياسي بها دونما شاهد مؤكد لحدٍ فاصل عما يدخل أو

يخرج في صُلب البحث واختصاصه.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يتلمس ظاهرة جيوسياسية ،قديمة متجددة،وبالأخص في مطلع الالفية الثالثة وزيادة حدة التنافس بين الدول والقوى الفاعلة على التمكّن والسيطرة حتى ظهرت دول لم تكن في دائرة التأثيرالقوي كتركيا وايران والسعودية في حين زال تأثير دول أخرى كانت حاضرة في الجيوسياسية الاقليمية كالعراق وسورية واليمن وربما دول أخرى . والبحث يتلمس وجهات الامتداد الجيوسياسي في المنطقة اليوم اعتماداً على معطيات الامس القريب والحاضر المتأزم وصولاً إلى استشراف مستقبل الامتداد الجيوسياسي المفضي إلى رسم خريطة وربما خرائط جديدة نحن من سيتقسم بموجبها حال تحققها.

١- ماهية الامتداد الجيوسياسي

تسابقت بلدان أوروبا الغربيّة خلال القرن التاسع عشرالميلادي على بسط نفوذها وهيمنتها على أجزاء مختلفة من العالم في إطار سياساتها التوسعيّة الاستعماريّة وأخذ هذا التسابق الاستعماري ابعاداً جغرافية محددة بمفهوم المكان ولها ابعادا قيمية لها مغزاها ومعناها الجيوبولتيكي الذي يؤطر ذلك التوسع بأسباب يراها البعض حتمية ولابد منها كسجال حضاري وسياسي زماني ومكاني بين الشرق والغرب ويراها آخرون تغليفاً منمقاً للدوافع الاستعمارية التي تقف وراءه لاغير .وأياً كان الأمر، فالامتداد الجيوسياسي، هو حالة النقل المتعمّد لقوة وثقافة وسطوة جهة ما على حساب الآخر سواء كان بالقوة المباشرة ام بالقوة الناعمة مشار لها، تحديداً أو تقريباً، بالحيز الجغرافي كوحدة قياس أولية لذلك الامتداد. وله انواع أو اشكال رئيسة [١] :

أ- الامتداد الحضاري:

كنشر الثقافة والعادات والديانة المسيحيّة في البلدان المستعمرة بدعوى تمدين هذه الشعوب وإخراجها من التخلف فيما يسمونه بالمهمة الحضاريّة للرجل الأبيض الأوروبي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين.

ب- الامتداد السياسي:

وهو تطبيق عملي لسابقه (الحضاري) لكن له من الدوافع الاستعمارية المباشرة ما يجعله متميزاً عنه من خلال اهدافه والدافع من وراءه سيما في مراحل مبكرة من موجة الامتداد العالمية نحو المستعمرات ولأهدافٍ أهمها:

– ربط قوّة الدول وتقدمها بعدد وحجم مستعمراتها.لذلك تحرص الدول على ان يكون لها موطن قدم في اي رقعة من العالم وبأي شكل لتكون بمثابة النواة لأي توسع مستقبلي أو للضغط على الحلفاء ومساومة الخصوم .

– السيطرة على الممرات والجزر والمضائق ذات الأهمية الاستراتيجيّة في العمليّات التجاريّة.ولطالما كانت هذه المناطق محط تنافس وتجاذب الدول الكبرى منها والمتطلعة للنفوذ، فظلت مضائق المرور البحري كأحد نقاط التماس الجيوسياسي في العلاقات الدولية قديما ،كما نظَّر لذلك الفريد ماهان **(Alfred Mahan)** وإلى يومنا هذا .فجزر محيطية الموقع صغيرة الحجم تعاقب على احتلالها والسيطرة عليها مختلف الدول الاستعمارية بشتى الذرائع كرينيون وسيشل ومارشال ، فضلا عن دول واقاليم مهمة لها ثقلها السكاني والحضاري كالوطن العربي مطلع القرن العشرين إلى اليوم.

– حماية الطرق التجاريّة الرابطة بين مختلف مناطق النفوذ.فمن القدم تحرص الدول والقوى النافذة على تأمين مرور قوافلها التجارية ومن ثم طرقها البرية والبحرية

وقطاراتها الرابطة بين مختلف مناطق النفوذ كخط بغداد–برلين المفترض مطلع القرن العشرين ، وقبله طريق الحرير بين الشرق والغرب ، واليوم طرق امدادات النفط من الخليج العربي باتجاه الغرب أو خط نفط باكو– أوروبا وغيرها كثير هي في الحقيقة شواهد امثلة للتوغل السياسي الاقتصادي.

ج-الامتداد العسكري:

يعد الامتداد العسكري مؤشراً وأداةً، في نفس الوقت،على حسن اداء الدولة ذات النفوذ في تعاملها مع محيطها الجيوسياسي من حيث ان افراغ النفوذ والقوة الجيوبولتيكية يحتاج لتطبيق عملي على ارض الواقع ويتكفل بذلك التوسع الحاصل عسكريا وفرض الارادة بمنطق القوة المباشرة أو الرادعة،كما ويعد مقياساً للنفوذ المتحصل لدى الدولة فعلياً في ممارسة نفوذها من خلال بسط السيطرة والتواجد العسكري وإقامة المناورات العسكرية . إن منطقة القطب الشمالي تتبع سياسياً للدنمارك ويتمتع بحكم ذاتي منذ١٩٧٩ لكن المنطقة تشهد تنافساً محموما بين الولايات المتحدة وكندا وروسيا فضلاً عن دول أخرى تجعل الحديث عن سيادة دانماركية عليه مجرد طرح اكاديمي مشفوع بوثائق تاريخية وان القواعد الأمريكية والتي تتبع حلف شمال الاطلسي (ناتو NATO) تؤكد ذلك الامتداد للحلف الذي تقوده الولايات المتحدة وتؤكد أيضاً حجم النفوذ ،الحقيقي، للدنمارك فيه [٢].

د-الامتداد الايدولوجي:

ان الامتداد الايدلوجي أو الثقافي يعد الهدف من كل امتداد آخر، فالغرض من توسع الدول وبسط نفوذها على وحدة المساحة الجغرافية إنما لتغيير ثقافة ما، أو لفرض ثقافة أخرى وطريقة عيش وسلوك متمثل بالمدنية، أو الديموقراطية في زمننا المعاصر، فيما كانت قبلا توجه ديني أو مذهبي أو فكري وكلها تصب في ملىء المكان بأرادة من خارجه .ولعل الحروب الدينية التي قامت قديماً بين الاسلام والمسيحية والتي عرفت بالحروب الصليبية انما بدافع تغليب رؤية دينية على حساب الرؤية المقابلة . ومنها ما يستمر إلى اليوم كما في فلسطين من صراع بين الصهيونية اليهودية من جهة مع الاسلام والمسيحية على السواء من جهة أخرى أو حرب البوذيين تجاه مسلمي بورما (الروهنجيا Rohingya) إنما توصف بأنها حرب بين أيدلوجيات اختلفت وعجزت عن العيش بسلام[٣] .

هـ-الامتداد الاقتصادي:

يعد اجداها وانفعها واكثر اشكال الامتدادات الجيوسياسية استمرارية بل ان بعضاً من فعالياته تظل مستمرة لأجيال حتى بعد زوال اشكال النفوذ الأخرى متمثلا بنظم اقتصادية وسلوك حياتي ونمط اقتصادي ومعاشي كآثار الفتح الاسلامي في اسبانيا (الاندلس) التي لم تزل شاخصة إلى اليوم بنوع المحصول وطرق الري والتسويق وغيرها [٤] ، وإن الاثار العربية في الاسواق الشرقية من آسيا لازالت شاخصة ولو بعد مضي قرون عن آخر حكم للعرب والمسلمين في شبه القارة الهندية .وبالمجمل تسعى الدول لتحقيق اهداف من الامتداد الاقتصادي منها:

-البحث عن أسواق خارجيّة:

سعت الدول الأوروبيّة الصناعية إلى البحث عن أسواق خارجيّة لتصريف بضائعها المصنعة المُكَدَّسَةُ نتيجة تشبّع أسواقها الداخليّة سواء في الشرق الأوسط أو سواه مما طالته يد نفوذها.

- ضمان التزوّد بالخامات والمواد الأوليّة:

من خلال السعي إلى السيطرة على مواقع إنتاج الخامات والمواد الأوليّة وأهمها النفط العربي الرخيص والوفير منذ مطلع القرن العشرين إلى اليوم حيث ورثت شعوب المنطقة طمعاً استعمارياً مستمرا وزادت عليه الولايات المتحدة الأمريكية ثروات أخرى من الفوسفات والكبريتات والمعادن المهمة كالحديد والنحاس والمطاط وغيرها [٥] .

- البحث عن مجال لاستثمار رؤوس الأموال:

تسعى الدول الغربيّة إلى البحث عن مجال لتوظيف رؤوس أموالها نتيجة تقلّص فرص توظيفها في الداخل وانخفاض فوائض ادخارها في أوروبا، وذلك بتقديم القروض للدول الضعيفة وإنشاء المشاريع الاقتصاديّة الضخمة للتمتع بنسب أرباح عالية.وهذا ما يفسر قيام اقتصادات نامية في منطقة الشرق الأوسط في دبي وأبو ظبي ونويات أخرى.

٢- الشرق الأوسط وتنامي أهميته الجيوبولتيكية

الشرق ال أوسط، هو مفهوم جيوسياسي ،إستعماري النزعة، ينطلق من وجود مركز لهذا الكون هو أوروبا وما دونها اطراف. فهذه القارة ونزعتها، هي التي أوحت للعالم أن بؤرة التقدم البشري ستنطلق منها كمركز إشعاع حضاري قادر على أن يحدث تحولات تاريخية في المجتمعات المتخلفة. وقد أرسلت أوروبا جيوشها الاستعمارية لمختلف بلدان العالم الثالث تحت شعار تمدين شعوب هذا العالم، وإحداث نقلة نوعية في حياتها وكان الثمن باهظا وقاسيا. ومن منطلق المركزية الأوروبية رأينا العالم تحدد مسمياته في الجغرافيا السياسية تبعا لموقعه من المركز، فهناك شرق أقصى وشرق أوسط وشرق أدنى، مع ملاحظة أن للقوة قوانينها التي ينبغي أن تؤخذ حساباتها بعين الاعتبار على أية حال (٦) .

ولأن مفهوم الشرق الأوسط هو بطبيعته جيوسياسي، مرتبط باستراتيجيات الدول الاستعمارية في المنطقة، فإن حدوده غير ثابتة، وخاضعة لاستراتيجية الدول الكبرى ذات العلاقة، في مرحلة تاريخية محددة. ولذلك فإن حدوده قابلة للانكماش والتمدد تبعا لتلك الإستراتيجيات. فعلى سبيل المثال، تنتهي حدود الشرق الأوسطغربا بمصر أحياناً، وأحيانا أخرى تدخل ليبيا وتونس ضمنها، وجنوبا يكون السودان أحيانا ضمن تلك البلدان، وأحيانا يكون خارجها.. والقول صحيح أيضا بالنسبة لليمن. أما الحدود الشمالية والشرقية فلم يكن هناك خلاف، ولم تحدث متغيرات، وسبب ذلك واضح للمراقب عن كثب تطور الأحلاف والمعاهدات والمشاريع الاستعمارية في المنطقة، التي أخذت مكانها منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حتى بدايات القرن الحادي والعشرون وبضمنها حلف بغداد، والمعاهدة المركزية السنتو، ومشروع ملء الفراغ، إثر القرار البريطاني بالانسحاب من شرق السويس نهاية الستينيات من القرن العشرين إذ كانت باكستان شرقاً وتركيا شمالاً دائما ضمن طليعة تلك المشاريع.

خريطة (١)
الشرق الأوسط وشمال افريقيا

المصدر:مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط:
http://www.beirutme.com/?page_id=4708

٣- قوى النفوذ في الشرق الأوسط وتجاذبات القوة بينها

إن الإشارة إلى الشرق الأوسطكمنطقة جيوسياسية، وليس كنظام إقليمي، برزت أول مرة بقوة خلال الحرب العالمية الأو لى، أثناء الحديث بين القوى المنتصرة عن تقاسم تركة الدولة العثمانية. وكان تصريح سايكس بيكو بين بريطانيا وفرنساعام ١٩١٦، ووعد بلفور(**Balfour Declaration**) عام ١٩١٧، اللذان قضيا بجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، ووضع الأردن والعراق تحت الوصاية البريطانية، والاحتلال الفرنسي لسوريا، وجملة أخرى من الترتيبات العسكرية والأمنية في المنطقة بين المنتصرين في الحرب هي المفردات الأولية لقيام نظام شرق أوسطي بالمستقبل لكن تشكيل نظام إقليمي مستند على هذا التصور الجيوسياسي تأجل لعقود عدة.

وبعد الحرب العالمية الثانية،أصبحت صورة الشرق الأوسط، في خريطة صنّاع القرار البريطانيين والأمريكيين أكثر وضوحا. فقد حسمت علاقة تركيا وباكستان وإيران بالغرب كحلفاء استراتيجيين. وأضيف الكيان الصهيوني الغاصب لقائمة الحلفاء بعد تأسيسه على أرض فلسطين عام ١٩٤٨. وقد تجلى ذلك بوضوح في مختلف المشاريع المشبوهة التي طرحها الأمريكيون والبريطانيون بالمنطقة منذ بداية الخمسينيات من القرن العشرين . ولم يكن بالإمكان آنذاك قيام نظام إقليمي شرق أوسطي، بسبب خصوصية تلك المرحلة، التي اتسمت بقيام حركات التحرر الوطنية للتخلص من هيمنة الاستعمار الغربي التقليدي، وأيضا بسبب الرفض العربي الشامل، الذي عبَّر عنه العرب حكومات وشعوبا لزرع الكيان الصهيوني في القلب من أرض العرب، وأيضا تجاه الظلم والجور الذي لحق بشعب فلسطين. وكان النهوض العربي والمواقف الحاسمة لبعض الحكومات العربية قد حالت دون التفكير بقيام نظام إقليمي شرق أوسطي، يكون بديلا عن النظام الإقليمي العربي الذي دشن،على الصعيد الرسمي، عقد مؤتمر قمة عربي في مصر وتأسيس جامعة الدول العربية (٧) .

لقد كان البديل عن ذلك هو قيام محور شرق أوسطي متحالف مع الغرب، على شكل حلف أحيانا، ومعاهدات واتفاقيات في أحيان أخرى، يضم إلى الدول العربية التي تتماشى في سياساتها مع الغرب، دولا أخرى كإيران وباكستان وتركيا، ويرتبط به عن بعد الكيان الصهيوني. وقد تشكّلت أحلاف عسكرية وسياسية في الخمسينيات على هذا الأساس، في

مقدمتها مشروع أيزنهاور وحلف بغداد والمعاهدة المركزية. وبالمقابل تشكلت محاور عربية مناوئة لهذه المشاريع تضمنت القاهرة والرياض ودمشق وصنعاء. وكانت الظروف غير مهيأة لنجاح محاور الشرق الأوسط المشبوهة، وبنهاية الخمسينيات تأكد فشلها جميعا.ولم تعد المناخات ملائمة لمواصلة الحديث عنها من قبل صناع القرار في الغرب، وبقيت مصطلحا جيوسياسيا يشار له في الأدبيات السياسية وفي الخرائط التي تصدر عن مؤسسات أكاديمية غربية (٨) .

إن البحث عن حلول منفردة لأزمة الصراع العربي– الصهيوني من قبل بعض الدول العربية وما نتج عنه من توقيع اتفاقية كامب ديفيد ووادي عربة واتفاقية أوسلو بين مصر والأردن والسلطة الفلسطينية وبين الكيان الصهيوني قد أدى إلى إلحاق الضعف بالنظام العربي الرسمي الذي ساد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وقوفاً بوجه إقامة نظام شرق أوسط برؤية غربية حتى توقيع هذه الاتفاقيات. لقد أصبح هذا النظام مجرداً من عناصر قوته، حين تخلت أنظمة عربية مركزية، كان لها الحضور الأساسي في مشاريع النهضة والمقاومة عن دورها، وألغت من طرف واحد علاقتها بميثاق الأمن القومي العربي الجماعي، ومعاهدة الدفاع العربي المشترك. وكان الدليل القوي على تراجع النظام العربي، والعودة إلى مفهوم الشرق الأوسطكنظام إقليمي بديل قد بدأ بالبروز، بعد حصار المقاومة الفلسطينية في بيروت عام ١٩٨٢، حين بقي المقاتلون الفلسطينيون وحدهم في مواجهة العدوان،ووقف العرب مجتمعين متفرجين. وكانت فكرة الشرق الأوسط الكبرى قد أخذت مكانها بعد غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠، إذ انقسمت الخنادق العربية، وانتعشت الصراعات بين القادة، بما مكن من حدوث اختراقات واسعة في الوجود العربي، وهيأ البيئة الملائمة لعودة الحديث عن شرق أوسط جديد، لكن بحضور وقيادة صهيونية امريكية وبمسمى النظام العالمي الجديد اذ تزامنت الفترة مع سقوط الاتحاد السوفيتي السابق وغزو العراق للكويت وما تبعه من تحالفات عربية – غربية على حساب أي مسمى عربي وحدوي ولصالح النهج الغربي في التسمية وفي تثبيت دعائم النظام العالمي الجديد الذي بشّر به جوج بوش الابن عام١٩٩٣ (٩).

١- إيران .

على امتداد القرن العشرين شهدت ايران ومحيطها تبدلات في حجمها وقوة تأثيرها في منطقة الشرق الأوسط تراوحت بين الضعف والقوة بحسب تفاعلها مع محيطها الاقليمي ،وتُعد إيران من الدول التي تتمتع برصيد كبير من المميزات التي تجعلها في موقع المبادرة إلى الامتداد الجيوسياسي نحو المنطقة العربية في العراق والخليج بسبب عمقها الستراتيجي في العديد من الدول المجاورة مما أوجد لها محلا فاعلا في النظم الإقليمية وأن تتفاعل بقوة مع جوارها الاقليمي بقوة. فإيران ،بحكم الموقع، هي دولة آسيوية وشرق أوسطية وذات إرث تأريخي في المنطقة سجالاً مع العرب والاتراك [١٠] وإن احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣ وزوال قوته المنافسة وكذلك حالة الارتباك القوي التي عصفت بالدول العربية بعد عام ٢٠١١ بتأثير ما سمي بثورات الربيع العربي وظهور المجاميع المسلحة التي تسيطر على مساحات تعادل أو تزيد على مساحات بعض دول المنطقة أوجد حالة من الفراغ الامني والعسكري في العراق وسورية وبشكل آخر في دول الخليج العربية وليبيا ولبنان ولكون إيران من الدول الفاعلة والتي تسعى لتحقيق تواجد لها يُعَدُ منطقياً من منظار القوة فانها شرعت بذلك وباتجاهين:

أ– السياسة الناعمة ،متمثلة بحركة اقتصادها العابرة للحدود العراقية والسورية واللبنانية مما يصب في اتجاهين لصالحها ،الأول،كونها في حالةحصار اقتصادي مفروض من دول

العالم عقاباً على برنامجها النووي إلى أو اخرالعام٢٠١٥وإن التبادل التجاري مع العراق ودول المنطقة يعزز من قوتها بخاصة مع تدني مستوى العملة الايرانية [١١]. والثاني، ما يعزز من تواجدها الاقتصادي الاكثر فاعلية في مناطق تعدها ايران جزء من نفوذها الاقليمي (العراق وسورية ولبنان)مما يقطع الطريق على جهات أخرى يفترض ان لها نفس التطلّع بإفراغ النفوذ وتحقيق التوسع الجيوسياسي المرغوب ناعماً كان أو غير ذلك.

جدول (١)

التبادل التجاري بين ايران والعراق وسورية ولبنان(بالدولار$) ٢٠١٥.

الدولة	الصادرات مع ايران	الواردات من ايران	الميزان التجاري	النسبة المئوية%
العراق	١,٧٠٤,٢٢١	١٥,٥٧٠,٨٢١	١٣,٨٦٦,٦٠٠	%١٠.٩
سورية	372,982,770	26,226,218	٠٦346.7	% ٥٨
لبنان	١٣.٦٥٥	٤١.٨١٢	١.٩٤٥	%٣٢

المصدر:

١- **مركز الجزيرة للدراسات .**
http://studies.aljazeera.net/ar/positionestimate/2018/10/181018143757719.html
٢-إدارة الجمارك الإيرانية .
https://int.search.myway.com/search/GGmain.jhtml?
٣ - موقع البوابة الاقتصادي .
http://albawabacdn.albawabamiddleea.netdna-cdn.com

يلاحظ من الجدول (١)اعلاه إرتفاع كبير لحجم الواردات من ايران مع الدول العربية العراق وسورية ولبنان وبنسبة تصل الى ٨٩.١% لصالح ايران تجاه العراق(نسبته ١٠.٩%) يقابلها ما نسبته ٥٨% لصالح سورية وهي نسبة تزيد على النصف بقليل وربما يعزى ذلك الى اختلال التجارة القائمة على استنزاف الصادرات السورية الرخيصة والخالية من الرقابة الاقتصادية للدولة في العام ٢٠١٥وليس الى تفوق في الاداء التجاري التنافسي نفسه. فيما تعطي مؤشرات لبنان نوعاً من المصداقية لطبيعة التجارة من جانب كون لبنان في منأى عن احداث ما يسمى بالربيع العربي من جهة وطبيعة التجارة القائمة مع ايران في واقعها غير المتكافىء وبنسبة تصل الثلث (٣٢%)وهي عل العموم محدودة لاسباب موضوعية كضعف الاقتصاد ووجود البدائل بالنسبة للبنان والعقوبات الاقتصادية المفروضة على ايران.

ب- التدخل المباشر ، لإيران أذرع عسكرية تعمل بفاعلية ومعلن عنها كالتي في العراق وسورية ولبنان واليمن مما يؤكد حجم الاهتمام الايراني بهذه المناطق كتوابع لها وقطع الطريق على القوى الأخرى . ولهذه السياسة أثرها السلبي على علاقاتها الاقتصادية (القوة الناعمة Soft power) من خلال مواقف العداء التي اتخذتها الدول العربية والمجتمع الدولي ضد ايران بسبب حِراكها العسكري في المنطقة فيما له أثره على فرض قوتها المباشرة على الأرض ومسكها تجاه تقوية نفوذها بالمنطقة.

إن التحرك في سياسة ناعمة له أثره الاكبر من الجانب العسكري فللأخير انعكاساته السلبية داخل ايران وخارجها حيث مناطق النزاع المباشر سيما وان ايران قد دعمت انظمة غير مستقرة في الحكم وفي المقبولية الشعبية في العراق وسورية ولبنان واليمن

لمختلف الاسباب خلافاً لمطالب الشعوب وهي المستهدفة بالسياسة الناعمة التي تحتاج لبعد نظر سياسي وطول مدة لتجني النتائج [١٢].

من كل ذلك ،نجد إن ايران قد بلغت حالة من التمدد الجيوسياسي في بعده العسكري أقوى من تواجدها الفكري والثقافي والاقتصادي الناعم ،مما ينذر بتراجع المشروع كونه يحتاج إلى الدعم المتواصل وجهد عسكري ومادي لا محدود قد لا تستطيع الدولة الايرانية المحاصرة والمستهدفة من دول أخرى على مواصلته داخلياً وخارجياً .ان توسع النفوذ الايراني قد بلغ مداه الأوسع في المدة٢٠١٣-٢٠١٤حتى انطلاق المشاريع المناهضة له جيوسياسياً من دول أخرى كالولايات المتحدة الأمريكية وتركيا والسعودية ودول الخليج العربية الأخرى .

٢ – تركيا .

شهد العقدان الاخيران تغيرات كبيرة في السلوك الجيوسياسي التركي تجاه العالم عامة وتجاه الشرق الأوسط والمنطقة العربية ومنها العراق ، ولعل تركيا اليوم تعيش أهم تحولاتها الجيوسياسية لاعتبارات تاريخية وأخرى محلية ديناميكية ضمن محيط دولي متنافس على تحقيق الامتداد الجيوسياسي الملائم لكل منها.

استخدمت تركيا في هذه المرحلة من التفاعل أسلوباً يتسم بالحيوية في العلاقات مما أوجد قبولا واسعاً من الدول تجاه حِراكها ،بدليل تكرار الوساطات التركية في حل الازمات في المنطقة والعالم احيانا،إذ تبنت تركيا الدبلوماسية الناعمة وبشكل غير مسبوق في العالم والشرق الأوسطداعمة ذلك بقوةٍ اقتصادية فاعلة لحل المشكلات الاقليمية وتكوين أحلاف وتكتلات معلنة أو غير معلنة تؤيد التواجد التركي وتصدره للمشهد دبلوماسياً واقتصاديا .تحقق ذلك أو بعضه بتغيير مناخ العلاقات الدولية في المنطقة بجمع الفرقاء إلى صيغ حلٍ تضعها تركيا وتدعمها دعماً ناعماً اقتصاديا وتاريخيا وشرعت بتطوير أيدولوجيتها السياسية مستغلة توقيتا مثاليا ربما لن تحضى بمثله في الامد القريب بما يتواكب مع متطلبات الالفية الثالثة والتغيرات الديناميكية الحاصلة فيها وبذلت جهدها في تثبيت رؤيتها على ارضية من المكتسبات والاستحقاقات التاريخية والجغرافية وتفعيلها من خلال مبادئ عامة[١٣]:

- تحقيق أعلى توازن بين الحرية والأمن .
- تصفير مشكلاتها مع دول الجوار .
- التأثير في الاقاليم والدول المجاورة .
- انتهاج سياسة خارجية متعددة الابعاد .
- اتباع اسلوب دبلوماسي جديد متناغم الوجهات .

وتبعا لذلك، وتحقيقا لتوجهاتها المفضية إلى امتداد سلس بالشرق الأوسط فقد انتهجت تركيا ثلاث سياسات :

١ – الابتعاد عن التدخل المباشر بمشكلات الشرق الأوسط ، كالقضية الفلسطينية واحتلال العراق٢٠٠٣والثورة السورية ٢٠١١

٢ – تطوير سياسة تناغم مع المجتمع الدولي ،على اساس نظري قيمي ،يشفع لها بتدخلاتها اللاحقة كما حصل بنصرتها للثورة السورية٢٠١١على اساس رفض السلوك الحكومي الدكتاتوري في هذا البلد بقتله للشعب وتدمير المدن .

٣ – إيجاد نظرة تركية خالصة للنظر للشرق الأوسطوقضاياه قائمة على مصلحة تركية تدعمها رؤى تاريخية وجغرافية واقتصادية تحدد المسار السياسي والجيوسياسي لها[١٤].

وبناءً على ذلك ، فالسياسة التركية تجاه العراق تتخذ جانبين أحدهما قيميٌ ،قائم على اساس الدبلوماسية الواضحة في دعم السيادة ووحدة التراب الوطني ، وجانبٌ براغماتيٌ مصلحيٌ كتبرير دعم الاقلية التركمانية في كركوك بوسائل إستراتيجية تجيد استخدامها جيدا ،بعضها يصبُ في مصلحتها الخالصة وبعضها لمصلحةٍ مشتركة بينها وبين العراق وجوارها الاقليمي. [١٥]فاصبح الوجود التركي في المنطقة بين مُرحبٍ به كلية للحاجة لموقف مساند لقضاياه كالقضية الفلسطينية والسورية والعراقية ببعض جوانبها أو كواقع حال اقتصادي داعم لاقتصادات منهارة أو تكاد تنهار في اطار تنافسي مفتوح مع جهات تأثير أخرى كأيران.

جدول (٢)

التبادل التجاري بين تركيا والعراق وسورية ولبنان (بالدولار$)٢٠١٥.

الدولة	الصادرات مع تركيا	الواردات من تركيا	الميزان التجاري	النسبةالمئوية %
العراق	٢,٩٤٤,٢٣٧	١٠,٣٢٠,٨١٢	575،376،7	%٢٨,٥
سورية	٩٣٢،١١٥	٢,٤٩٨,٠٠٠	885،1565	%٣٧.٣
لبنان	١٥٧،٢٠٠	٩٦٥,٥٠٠	٠30،808	%١٦,٢

المصدر:

١- مركز الجزيرة للدراسات

http://studies.aljazeera.net/ar/positionestimate/2018/10/181018143757719.html

٢- صحيفة المغترب، الملحق الاقتصادي، العدد ٤٦

www.almughtareb.com

٣- موقع البوابة الاقتصادي

http://albawabacdn.albawabamiddleea.netdna-cdn.com

٤- سلام الساعدي،أعمال بمليارات الدولارات ،معركة اللائحة السوداء،العربي الجديد،دمشق ،٢٠١٤ .

يلاحظ من الجدول(٢) ارتفاع مؤشرات التبادل التجاري (القيم النقدية)عما كان في تعاملات ايران مع نفس الدول في نفس الفترة (جدول -١-) وان تقارب النسب في التبادل التجاري بين تركيا والدول العربية المذكورة ربما يؤشر لتخطيط مسبق للأبقاء على احجام المبادلة على لوضعها المقرر وكما مخطط له وهو على العموم يصب لصالح تركيا بنسب ضعفية تراوحت من ٧١.٥% الى ٢٨.٥ % مع العراق و ٦٢.٧ % الى ٣٧.٣% مع سورية الى ٨٣.٨% مقابل ١٦.٢% مع لبنان.

٣ – السعودية.

تكاد تكون السعودية أقل الدول المفترض إنها ذات تأثير مباشر ممارسة لدورها في التأثير أو الامتداد أو فرضاً للنفوذ الجيوسياسي الخاص بها سيما مع ما تتمتع به من مميزات تؤهلها للقيام بمثل هذا الدور كتزعمها للعالم الاسلامي،وقوتها الإقتصادية وقربها من الاحداث التي ظهرت في محيطها الاقليمي بعد زوال قوة التأثير العراقي بعد عام ٢٠٠٣ وظهور قوى فاعلة تتمدد في المنطقة كأيران وتركيا.

إن النقطة الفارقة لتحول السعودية من سياسة الانكفاء الداخلي نحو المشاركة الفاعلة بالقراروالتأثير المباشر في صنع ميزان قوة خليجي وشرق أوسطي تتحكم به كانت بالقناعة التي وصلت اليها بناءً على مجموعة معطيات منها:

أ- الشعور بالخذلان من المواقف الأمريكية تجاه دعم قضايا الأمن بالمنطقة.

ب- الشعور بالتحرك الجيوسياسي لدول التأثير الاقليمي الأخرى كأيران وتركيا على حساب دور مستحقٌ لها كما تراه بالأقل.

ج- إندلاع ثورات الربيع العربي وما أفرزته من سلبيات الدمار لبلدان عربية والتهديد لنظم الحكم التي قامت بها والسعودية واحدة منها في ضوء معطيات كثيرة.

د- الاحساس بالخطر المباشر المحيق بالسعودية بتحرك الحوثيين جنوبها وظهور ايدلوجية حكم مغايرة لتوجهها في العراق شمالا ،فضلاً عن تحركات ديناميكية متسارعة في سورية ولبنان وليبيا وغيرها .

لأجل ذلك ، توجهت السعودية لسياسة التحرك المباشر والشروع بمعادلة الوجود الايراني والتركي في المنطقة من خلال[١٦]:

- اطلاق عاصفة الحزم،وهي الجهد العسكري الذي قامت به السعودية في اليمن،لأجل استعادة الشرعية التي تؤيدها وأغلب دول العالم ممن سلبها في اليمن ومن يؤيدهم وبالاخص ايران وذلك مغزى التحرك ببعده الجيوسياسي .

- دعم المعارضة السورية التي حددتها بالمعتدلة لكي تبرر التدخل والنأي بنفسها عن دعم الارهاب.

- إبقاء قنوات الحوار مفتوحة ولو بحدها الادنى إكتسابا لأي فرصة للتقرب وتجنب الصدام المباشر مع الخصم أو ثني ارادة الاطراف العربية بالتوجه نحوه بأقل تقدير كالتقارب مع العراق (اكتوبر/تشرين الأو ل٢٠١٧) وفتح خط مباشر مع الاطراف اللبنانية القريبة من الرؤى السعودية والعربية (نوفمبر/تشرين الثاني٢٠١٧) مع اتخاذ سياسة صارمة ورفض التداخل في الصلاحيات بين الحكومة وجهات أخرى صُنفت على انها ارهابية.

- السعي بالعمل المبكر على قطع الصلة بين ايران والتدخل في مملكة البحرين المجاورة والعضو بمجلس التعاون الخليجي.

- الشروع بمناورات عسكرية كبرى في شمال السعودية بمشاركة دول اسلامية عدّة موجهة نحو العراق وسورية .

لقد سارع التدخل الروسي في سورية ومن قبله الايراني على إعادة رسم خريطة قوى التأثير بالمنطقة مما اوجب ضرورة التوجه العربي الاسلامي الذي تقوده السعودية وفي معيتها مصر وباقي دول الخليج العربية والباكستان وتركيا وأكثر من ٢٠ دولة إسلامية أخرى والقصد الأساس منه فرض نظام عربي اسلامي وقطع الطريق على ايران وروسيا ونظام الحكم في سورية لأن يكون اداة لتنفيذ مخططات دولية خارج إرادة الدول العربية والاسلامية بالمنطقة.

جدول (٣)

القوى العسكرية الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط(٢٠١٥).

القوة	العراق	تركيا	إيران	السعودية	إسرائيل
البشريةالعاملة	٢٧١,٥٠٠	٦١٣,٩٠٠	٥٥٥,٠٠٠	٢٣٣,٥٠٠	١٦٠,٠٠٠
البشرية الاحتياطية	٥٢٨,٥٠٠	٤٢٩,٠٠٠	١,٨٠٠,٠٠٠	٢,٥٠٠	٦٣٠,٠٠٠
دبابات قتالية	٣٩٦	٣.٦٥٧	٢,٤٠٩	١,٠٩٥	٣,٨٧٠

مدرعات وناقلات	٣٦٤٣	٨,٣٣٢	٢,٠٠٠	٧,٢٠٢	٩,٤٣٦
مدفعية	٢٣٩	٣،١١٣	٢,٤٨٧	١,١٠٠	١,٥٤٢
طائرات قتالية	٥٣	٥٥١	٣٠٦	٣٥٥	٤٣٨
مروحية	١٤٧	٦٢٩	٢٣٢	٢٣٧	٢٤٢
قطع بحرية	٦٠	١١٥	٣٩٥	٥٥	١٩٠

المصدر : http://www.globalfirepower.com/countries-listing.asp

يفيد الجدول(٣) أعلاه الى ان المؤشرات البشرية بمجملها لصالح الدول العربية والاسلامية هي الاقوى تجاه إسرائيل لكن يقلل من القيمة والاهمية لتلك المعطيات حالة التجافي والتقاطع بين هذه الدول من جهة وتفوق إسرائيل من جهة القدرات القتالية الألية والتكنلوجية مما يصعب عملية تقدير القوة الفعلية للقوى العربية والاسلامية تجاه خصومها تبعاً لحالة التقاطع او التواصل فيما بينها ، وعلى العموم، فللسعودية من امكانيات القوة ما يجعلها في طليعة التأثير اذا ما رغبت بذلك تليها تركيا التي ان حسبت حليفا للعرب والمسلمين فيكون حاصل الجمع بينها والسعوديةو والعراق محققاً لفارق كبير عن اي حسابات تحالف اخرى .

٤- دوائر كامنة التأثير:

أ- إسرائيل.

من غير المنطقي ان نَعُدَ اسرائيل غير معنية بما يجري بالمنطقة وهي صاحبة أول المشاريع والرؤى ذات الطابع التوسعي والامتدادي اللامتناهي(إسرائيل الكبرى) لكن لإسرائيل طرقها المباشرة وغير المباشرة والتي من خلالها تحقق غايات الضعف لدى الخصوم(الدول العربية)ثم تحقق اهداف الامتداد الجيوبولتيكي المباشر من خلال ثلاث رؤى:

– ايهام الحلفاءوبخاصة الولايات المتحدة بالخطرالمحيق بإسرائيل،(بذرة الديموقراطية بالمنطقة)بما يوجد دعما متواصلا لأسرائيل وتقاطعا مع المحيط العربي يدعمها في ذلك لوبي صهيوني بالغ التأثير في القرار الامريكي .

– بث روح الخلاف في صفوف الخصوم العرب كما اغرت الدول العربية بالخلاص من نظام صدام حسين بشكل فوضوي الغى قوة العراق وكاد يقضي على كيان الدولة ككل والأمر ينطبق على الوضع في مصر وسورية واليمن وباقي الدول العربية.

–التعاون المخفي مع اطراف النزاع بمفاوضات غير مباشرة تُبَسِّط النظر للقضية الكبرى (وجود الكيان الصهيوني غير الشرعي)إلى قضية نزاع حول الارض أو حول الحقوق المدنية للشعب الفلسطيني ومن ثم انتزاع مكاسب دولية واقليمية بشكل استثمارات كما الحال مع مصر والاردن [١٧].

وعليه،فإن النتائج المتحققة من انتقال سجالات القوة من اي طرف تجاه طرف آخر مع الفوضى المهلكة الحاصلة والتي بقيت اسرائيل على مبعدة عنها إنما تصبُ لمصلحة إسرائيل كمحصلة نهائية.

ب - الولايات المتحدة.

نكاد نجزم بالقناعة ان المكاسب المتحققة في تشكل دوائر النفوذ اعلاه التي هي في حقيقتها دوائرداخلية تُحيطها وتطبق السيطرة عليها دائرة النفوذ الأمريكية العالمية الاذرع والامتداد ، والسبب في ذلك ان كل دوائر القوة المتشكلة لأي دولة انما جاءت لأسباب ضيقة وتنتهي بمصالح،مهما اتسعت،هي ضيقة قياسا بالطموح الامريكي الذي

يطلق شعار العالمية بنموذج أمريكي (pax Americana) وإن الحديث عن امتدادات جيوسياسية لدول الشرق الأوسط فبحسب ادوار رسمت مسبقاً ضمن استراتيجية كونية وتوابعها الاقليمية هي في حقيقتها جزءٌ من إمتدادات جيوسياسية أكبر تصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية [١٨].

ج- روسيا (طموح القيصرية).

تسعى روسيا إلى استعادة مجد الاتحاد السوفيتي السابق بسياسةٍ متناغمةٍ مع الولايات المتحدة الأمريكية، فالمواقف الروسية تجاه منطقة الشرق الأوسطلا تمثل استراتيجية واضحة بقدر ما هي إثبات حضور في منطقة نزاع سبقها غيرها اليها ولغرض جني مكاسب مرحلية لا تليق بدولةٍ كبرى! فمنذ إحتلال العراق عام ٢٠٠٣ وروسيا تظهر نفسها وكأنها شريك قوي في السياسة الدولية والنزاع الجيوسياسي القائم في حين يقتصر دورها على شريك ثانوي مكمل ، في حقيقة الامر،بدلالة المكاسب المتواضعة قياساً بحجمها وتدخلها العسكري في سورية دونما الأعلان عن الدخول أو الخروج فضلاً عن تبيان النتائج المتحققة [١٩].

إن استفادة دول اقليمية أخرى أقل تأثيراً من روسيا أكبر مما تحقق للأخيرة سيما في مجال النفوذ فلا قوة التأثير السياسي ازدادت بموافقة روسيا وتمريرها لاحتلال العراق ولا حجم الايرادات الاقتصادية المتوخاة من هكذا تغير كبير بانتقال تبعية النفط العراقي الهائل بكمياته واحتياطاته والموارد العراقية الأخرى من حكومة عراقية مناهضة لأمريكا والمعسكر الغربي ومتقاربة لحدٍ كبير مع روسيا إلى تبعية البند السابع وفق قرارات الامم المتحدة التي خولت الولايات المتحدة وحلفائها المقربين وليس منهم روسيا بإدارة تلك الموارد.

يندرج الموقف الروسي في العراق على بقية القضايا بالمنطقة العربية كسورية ولبنان وليبيا واليمن حتى بدا التدخل الروسي العسكري المباشر في سورية حالة من تبديد القوة ومظاهر الاستفادة من استعمالها بهكذا مواقف من غير ما تحقيق نتائج ملموسة .وان عقد مقارنة بين التدخل الامريكي بالضربات الجوية على العراق مع التدخل الروسي في سورية مع الفارق يظهر عدم جدوى التدخل الروسي وعدم تحقيقه النتائج الملموسة عسكرياً أو جيوسياسياً بوجود حالة من التحكم والنفوذ الارضي لأمريكا وحلفائها إذا ما قورن بحجم التأثير الايراني والتركي والسعودي في المناطق التي تتدخل بها هذه الدول [٢٠].

ومع ذلك،سيظل التأثير الروسي في المنطقة قائماً،ما دامت سياسة التناغم (التأرجح بين المعارضة الرسمية والموافقة الفعلية) على الحركات الأمريكية والاسرائيلية والتركية والايرانية في استراتيجية ستفضي إلى تقهقر النفوذ الروسي في المنطقة وغيرها من مناطق العالم على الارجح او ادراج مشاريعها ضمن مشاريع اكبر لا تتبناها روسيا بالضرورة .

٤- توزيع القوة في الألفية الثالثة (جيوستراتيجية القرن الحادي والعشرون).

من الواضح ان خريطة جديدة ترسم في منطقة الشرق الأوسط تبعاً لتأثير قوى التحكم العالمية ،فخريطة دول الشرق الأوسط ومنها الدول العربية رسمت باتفاقات بين تلك الدول العام ١٩١٩اي بنهاية الحرب العالمية الأولى على وفق اتفاقية سايكس– بيكو المعروفة .واليوم وبعد قرن من الزمن بدا ان صلاحية تلك الاتفاقية وخارطتها بحاجة للتجديد الاستعماري بمعنى المزيد من التقسيم والتجزئة تحقيقا لأهداف كثير تبعضها معلن

والاخر غير ذلك كـــتأمين إسرائيل ونهب الثروات وإدامة الحروب والنزاعات والشروع بمراحل تغيير ثقافي وفكري واجتماعي شامل كالذي حصل مع شعوب العالم الجديد قبل مئات السنين .

لقد كان لويس برنارد* Louis Bernard المستشار السابق في الحكومة الأمريكية سباقاً بطرح مشاريع تقسيم المنطقة إلى دويلات قبل قرابة أربعين عاماً من اليوم ورسم لذلك الخرائط التي تفضي بتقسيم دول العراق والسعودية ومصر والسودان وسورية وليبيا والغاء الدولة الاردنية وامارات الخليج كاملة !وإذ بدا طرحه غريبا بعيد المنال لثلاثة عقود مضت فهي اقرب للتحقق اليوم اكثر من اي وقت مضى في ظل غياب منظومة عمل جيوبولتيكي مناهضة لهذا التوجه وبقاء المنطقة العربية في منآى عن قوة التأثير وتكتلاتها الفعالة والمتوازنة.

خريطة(٢)

توزيع التجمعات المؤثرة في العالم

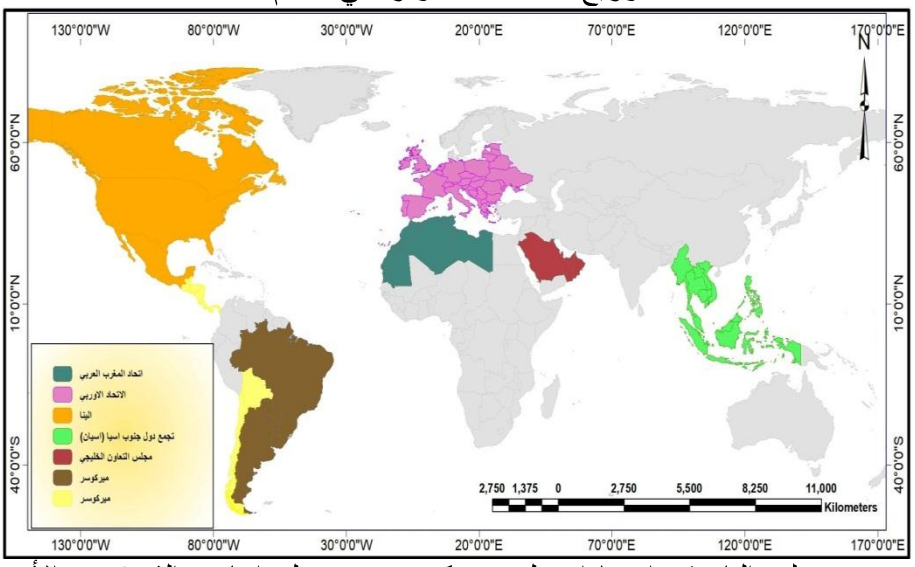

المصدر: عمل الباحث اعتمادا على مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط: http://www.beirutme.com/?page_id=4708

عندما عقدت الولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر آنابوليس للسلام عام ٢٠٠٧، كان من مشاركة برنارد لويس القول فيه :(ينبغي النظرلهذا المؤتمر باعتباره تكتيكا مؤقتا لتقوية التحالف ضد الخطر الإيرانى وتسهيل تجزئة الدول العربية والإسلامية ودفع تركيا والكُرد والعرب والإيرانيين ليقاتل بعضهم بعضا كما فعلت أمريكا مع الهنود الحمر من قبل). يشاركه في التوجه والطرح بريجنسكى مستشار الأمن القومي الأمريكى.

***برنارد لويس(١٩١٦-٢٠١٨)** : مستشرق بريطانى الأصل، يهودى الديانة، صهيونى الانتماء، أمريكى الجنسية ولد فى لندن وتخرج من جامعة لندن ١٩٣٦وعمل فيها مدرسا فى قسم التاريخ – الدراسات الشرقية والإفريقية .كتب كثيرا وتداخل فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، حتى عد مرجعا فيه من وجهة النظر الغربية ، فكتب عن كل ما يسىء للتاريخ الإسلامى متعمداً فكتب عن الحشاشين(التي تنشر ثقافتها اليوم بين شباب العرب والمسلمين بشكل العاب أو ثقافة، التحشيش، كما تسمى ولها خلفيتها الاجرامية

الانحرافية) وأصول الإسماعيلية والناطقة والقرامطة، قدم تأييدا واضحا للحملات الصليبية الفاشلة، وأوضح أن الحملات الصليبية على بشاعتها كانت رغم ذلك ردا مفهوما على الهجوم الإسلامى خلال القرون السابقة وإنه من السخف الاعتذار عنها.وكتب في التاريخ الحديث نازعا النزعة الصهيونية التى صرح بها وأكدها وهو صاحب أخطر مشروع فى هذا القرن لتفتيت العالم العربي والإسلامي وقد وفَّر الكثير من الذخيرة الأيدلوجية لإدارة بوش فى قضايا الشرق الأوسطوالحرب على الإرهاب حتى إنه يعد بحق منظرا لسياسة التدخل والهيمنة الأمريكية في المنطقة.

ولبرنارد لويس مشروع لتقسيم الدول العربية والإسلامية والذى اعتمدته الولايات المتحدة لسياستها المستقبلية:

١- في أثناء الحرب العراقية الإيرانية عام ١٩٨٠صرح بريجنسكى بالقول: (المشكلة التى ستعانى منها الولايات المتحدة من الآن في كيفية تنشيط حرب خليجية ثانية تقوم بعد حرب الخليج الأولى تتمكن من خلالها تصحيح حدود سايكس- بيكو).

٢- بتكليف من وزارة الدفاع الأمريكية بدأ برنارد لويس بوضع مشروعه الشهير الخاص بتفكيك الوحدة الدستورية لمجموعة الدول العربية والإسلامية جميعا كلا على حدة ومنها العراق وسوريا ولبنان ومصر والسودان وإيران وتركيا وأفغانستان وباكستان والسعودية ودول الخليج ودول الشمال الإفريقى..إلى غير ذلك. وتقسيم كل منها إلى مجموعة من الكانتونات والدويلات العرقية والدينية والمذهبية والطائفية، وعزز مشروعه بمجموعة من الخرائط المرسومة بإشرافه تشمل جميع الدول العربية والإسلامية المرشحة للتقسيم .

٣ – في العام ١٩٨٣ وافق الكونجرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية على مشروع برنارد لويس وبذلك تم تقنين هذا المشروع واعتماده وإدراجه فى ملفات السياسة الأمريكية الاستراتيجية لسنوات مقبلة[٢١].

٤ – تضمن مشروع برنارد لويس لتقسيم الدول العربية والإسلامية والذى اعتمدته الولايات المتحدة لسياستها المستقبلية :

١- مصر وتقسّم إلى اربع دويلات :

أ – دويلة سيناء وشرق الدلتا، تحت النفوذ اليهودى، ليتحقق حلم اليهود من النيل إلى الفرات .

ب- الدويلة المسيحية ،وعاصمتها الإسكندرية، تمتد من جنوب بنى سويف حتى جنوب أسيوط واتسعت غربًا لتضم الفيوم، وتمتد في خط صحراوى عبر وادى النطرون ليربط هذه المنطقة بالإسكندرية، وقد اتسعت لتضم أيضًا جزءًا من المنطقة الساحلية الممتدة حتى مرسى مطروح.

ج- دويلة النوبة المتكاملة مع الأراضي الشمالية السودانية وعاصمتها أسوان. تربط الجزء الجنوبى الممتد من صعيد مصرحتى شمال السودان باسم بلاد النوبة بمنطقة الصحراء الكبرى لتلتحم مع دولة البربر التي سوف تمتد من جنوب المغرب حتى البحر الأحمر.

د- دويلة مصر الإسلامية،عاصمتها القاهرة، في الجزء المتبقي من مصر، يراد لها أن تكون أيضًا تحت النفوذ الإسرائيلى حيث تدخل في نطاق إسرائيل الكبرى التي يطمع اليهود في إنشائها (٢٢) خريطة (٣).

خريطة (٣) تقسيم مصر والسودان

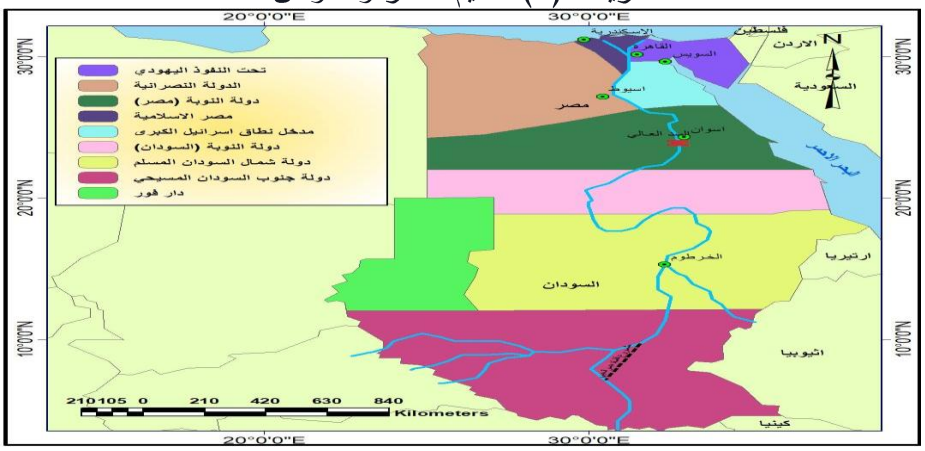

المصدر:عمل الباحث اعتمادا على ليلى صالح زعزوع وفتحي شهاب الدين ،مخطط التقسيم الجديد للشرق الأوسط ،وداعاً دول مجلس التعاون ،مدونة الكويت ثم الكويت ، الاثنين ١٧ سبتمبر ٢٠١٢.

٢- السودان وتقسم إلى اربعة دويلات:

أ- دويلة النوبة، المتكاملة مع دويلة النوبة فىالأراضى المصرية التى عاصمتها أسوان

ب- دويلة الشمال السودانى الإسلامية.

ج- دويلة جنوب السودان المسيحى: وهى التى انفصلت فى الاستفتاء ٢٠١١/١/٩ ليكون أول فصل رسمى طبقا للمخطط.

د-دويلة دارفور: والمؤامرات مستمرة لفصلها عن السودان بعد الجنوب مباشرة حيث إنها غنية باليورانيوم والذهب والبترول [٢٣] خريطة (٣).

٣ - شبه الجزيرة العربية والخليج

ويتضمن إلغاء الكويت وقطر والبحرين وسلطنة عمان واليمن والإمارات العربية المتحدة من الخريطة، ومحو وجودها الدستورى بحيث تتضمن شبه الجزيرة والخليج ثلاث دويلات فقط:

أ- دويلة الإحساء الشيعية: وتضم الكويت والإمارات وقطر وعمان والبحرين.

ب- دويلة نجد السنية.

ج- دويلة الحجاز السنية [٢٤] خريطة (٤).

خريطة(٤)
تقسيم شبه الجزيرة العربية والخليج

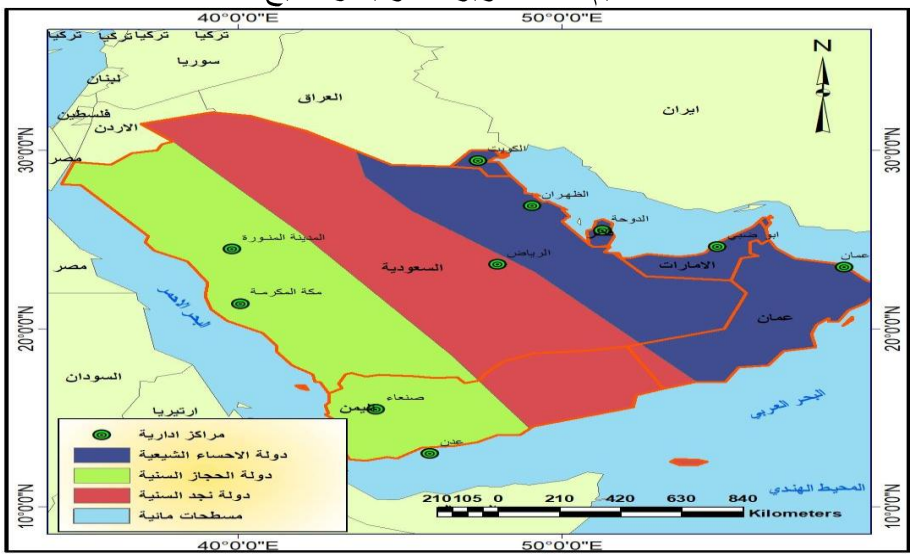

المصدر:عمل الباحث اعتمادا على ليلى صالح زعزوع وفتحي شهاب الدين ،مخطط التقسيم الجديد للشرق الأوسط ،وداعاً دول مجلس التعاون ،مدونة الكويت ثم الكويت ، الاثنين ١٧ سبتمبر٢٠١٢.

٤- العـــــــراق وسورية:

تقسيم العراق على أسس عرقية ودينية ومذهبية إلى :

أ- دويلة شيعية فى الجنوب حول البصرة.

ب-دويلة سنية فى وسط العراق حول بغداد.

ج- دويلة كردية فى الشمال والشمال الشرقى حول الموصل (كردستان)، تقوم على أجزاء من الأراضى العراقية والإيرانية والسورية والتركية والسوفيتية سابقا) [٢٥].

د- دويلة علوية شيعية بمحاذاة البحر المتوسط عاصمتها اللاذقية تمنع وصول الدويلات الاخرى للبحر لتبقى هى بافضلية القوة وإضعاف الدويلات الاخرى بموقعها القاري .

ه- دويلة سنية في دمشق واطرافها وامتداد باتجاه الشمال الشرق الى الحدود العراقية عاصمتها دمشق .

و- دويلة حلب السنية وعاصمتها حلب وربما ادلب وتقع شمال الدويلة السنية الاخرى وتختلف عنها انها تكون عائقا للمد التركي تجاه دمشق وتمنع وحدة اراضي الدويلتان بمساحات كبيرة .

ز- دويلة درزية بين دمشق واسرائيل تكون عازلا عن إسرائيل وموالية لها وعاصمتها جبل الدروز وتحضى بترحيب اسرائيلى

ح- اراضى شرق الفرات تنظم الى دولة كردستان المقترحة منذ عقود وقد نفذ هذا الجزء عمليا بسيطرة قوات سورية الديموقراطية (٢٠١٧-٢٠١٨) (٢٦) خريطة(٥).

خريطة (٥)
تقسيم سورية والعراق

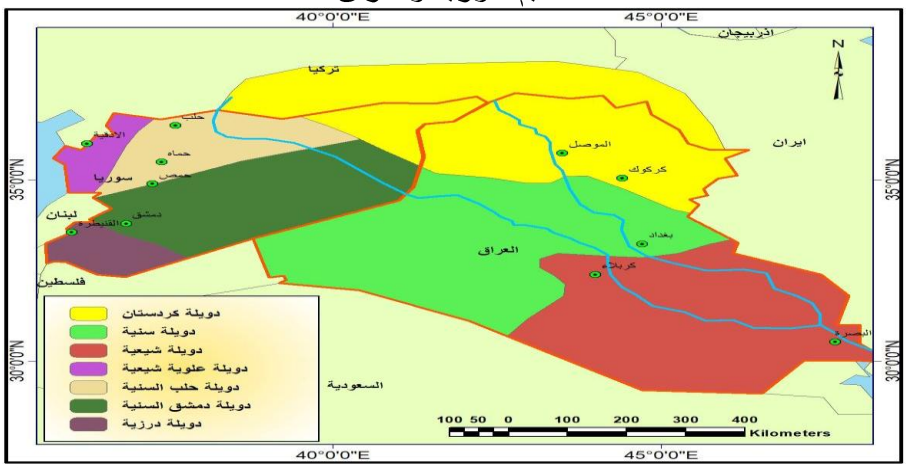

المصدر:عمل الباحث اعتمادا على ليلى صالح زعزوع وفتحي شهاب الدين ،مخطط التقسيم الجديد للشرق الأوسط ،وداعاً دول مجلس التعاون ،مدونة الكويت ثم الكويت ، الاثنين ١٧ سبتمبر٢٠١٢.

خاتمة واستنتاجات

١- ليس مستغرباً لخبراء العلاقات الدولية أن تعيد الدول الكبرى النظر في التفاهمات السرية التي تمت في عام١٩١٦بين البريطاني مارك سايكس والفرنسي فرانسوا جورج بيكو، بعد مئة عام من التوصل إليها وما ترتب عليها من تقاسم للنفوذ في منطقة الشام والعراق بين إنكلترا وفرنسا . والشواهد واضحة إن علاقة تربط بين تصريحات مايكل هايدن (Michael Hayden) مستشار الامن القومي الامريكي(٢٠١٤) وهذه التفاهمات، لا سيما أنه اعتبر أن العراق وسوريا قد اختفيا فعليا ولم يعد لهما وجود على الخريطة، بل بدا واثقاً بالقول :(إنهما لن يعودا كما كانا مطلقا). وهي إشارة بالغة الخطورة في ضوء ارتباط الدولتين العربيتين تاريخيا بهذه الاتفاقية، وما يؤكد ذلك أيضا أن هايدن تحدث في مقابلته عن مصير مماثل لليبيا، وهي أيضا من الدول المرتبطة بتفاهمات سايكس ــ بيكو.

٢- إن خطط التقسيم تناقش رسمياً، ولا تقتصر على تصريحات ، وقد طرحت في مجلس النواب الأميركي من قبل خطة لتقسيم العراق إلى ثلاث دويلات ، وهي خطة تضاهي خطة برنارد لويس الشهيرة التي نشرت قبل نحو ثلاثة عقود، وتقوم على إعادة هندسة المنطقة العربية وفق معايير عرقية وطائفية وقبلية.

٣-ما يحدث في المنطقة لم يكن عشوائيا، فكرة اللهب تتدحرج منذ العام ٢٠٠٣ حيث الغزو الأميركي للعراق، ثم إطلاق مستشارة الأمن القومي الأميركي السابقة كوندليزا رايس (Cundaliza Rice) مصطلح (الفوضى الخلاقة Creative chaos) وما تلا ذلك من اندلاع ما سمي بالربيع العربي الذي دشن الفوضى وترجمها على أرض الواقع ،ثم ظهور تنظيم الدولة الإسلامية داعش وإعلانه سقوط سايكس ــ بيكو!

٤- هذه التطورات أسفرت بدورها عن اشتعال الصراع الإقليمي حول ما يوصف في الأدبيات البحثية بـــ(حدود الدم)، واحتدم التنافس بين القوى الإقليمية والدولية حول النفوذ والمصالح، ودخل الجميع دائرة الخطر، بما فيهم ايران وتركيا والسعودية، لمّا ادركوا ماهية السيناريو المستقبلي للمنطقة، وأرادت التحكم في مساراته استدراكا لما فات من جهة والمحافظة على ما يتوفر الآن، إن كان في الوقت متسع، من جهة أخرى.

Abstract

Geopolitical Extensions in Middle East and its Role in Power Distribution

By Ahmed Dawood Hameed

The Major countries started to reconsider the secret understandings in the year 1916 between Britain and France, after 100 years of reaching what was known as the Convention on the Sykes Picot Agreement and the consequent sharing of influence in the Levant and Iraq between those colonialists. Today, the explicit relationship between the statements of Michael Hayden U.S. national security adviser(2014) these understandings with The owners of the Role, especially that the counting of Iraq and Syria had disappeared virtually no longer exist on the map, and he appeared confident that they will not return as they were absolutely. This is confirmed by the fact that Hayden spoke about a similar fate of Libya, also from the associated States understandings Sykes-picot agreement. The zoning plans discussed today officially, but are not limited to statements, had been tabled in the US House of Representatives before the plan to divide Iraq into three states, a plan to match the plan Bernard Lewis, famous published1974year after the crisis of the prevention of Arab oil from Europe, and based on the re-engineering of the Arab region in accordance with the standards of the sectarian and ethnic, tribal. What Happens In Middle East was not random , since the year 2003, where the US invasion to Iraq, perhaps before, initiated the new changes in practice, then the term (creative chaos) and the ensuing from the outbreak of the so-called (Arabian Spring), who inaugurated the chaos and translated on the ground and then the emergence of the Islamic State((ISIS) declaring the fall of Sykes-picot agreement. These developments in turn resulted in the eruption of regional conflict on what is described in the research literature for blood limits), and intensified competition between regional and international powers on the influence and interests of regional and extend, everyone entered the danger, including Iran, Turkey, Saudi Arabia, the realized what the future scenario of the region, and wanted to control in its tracks was aimed at rectifying his use of the differences on the one hand and preserving the available, that was in the ample time, on the other hand.

مراجع ومصادر البحث :

1- سعود عابد،الفرق بين الإستراتيجية والستراتيجية،صحيفة الرياض،مؤسسة اليمامة،العدد١٥٢٤٩،مارس،٢٠١٠.

٢- صراعات الهيمنة على القطب الشمالي بين الدول الكبرى،مركز صقر للدراسات الاستراتيجية،(د.ت) .

٣- عبد الامير رويح، للحروب اسماؤها واشكالها وللضحايا ذكرياتها،مركزالفرات للتنمية والدراسات الاستراتيجية،العدد٢٢٠٦،بغداد،٢٠١٦.

٤- سعود عابد، مصدر سابق.

٥- عبد الامير رويح، مصدر سابق.

٦- منى حسين عبيد،انعكاس التغييرفي المنطقة العربية على دول الخليج العربي،مركز الدراسات الدولية،المؤتمر السنوي الرابع عشر الموسوم:التغيير في البلدان العربية وأثره في العراقومنطقة الخليج العربي،بغداد،٢٠١٣.
٧- احمد الريماوي ،السياسة الامريكية تجاه الوطن العربي،مركز واتا للدراسات المستقبلية للمنطقة العربية،٢٠١١،ص ٢- ٣ .
٨-يوسف مكي،النظام الاقليمي العربي والشرق الأوسط الجديد،موقع التجديد العربي http://www.arabrenewal.info/index.php
٩- احمد الريماوي ، مصدر سابق ، ص ٥.
١٠- سهيلة عبد الانيس ،السياسة الايرانية تجاه العراق ما بعد التغيير،الحوار المتمدن،العدد٢٠٠٧،٢٩٢٠، ص١.
١١- شيلين محمد المهدي، السياسة الايرانية تجاه المشرق العربي (٢٠٠١-٢٠١٣)،رسالة ماجستير منشورة، جامعة محمد خضير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، بسكرة، ٢٠١٤، ص١٦٤.
١٢- علي عبد محمود، العلاقات العراقية الايرانية في ضوء حروب الخليج العربي والاحتلال الامريكي،دار أمنة للنشر،عمّان،٢٠١٢،ص٦٧.
١٣- احمد داود أوغلو،العمق الاستراتيجي،مركز الجزيرة للدراسات،الدار العربية للعلوم،بيروت،٢٠١٠،ص٢٦٤.
١٤- احمد داود أوغلو،العمق،مصدر سابق .
١٥- محمد السعيد ادريس،تركيا وتحديات نظرية العمق الاستراتيجي،موقع الجريدة الالكتروني،العدد٨٤،٢٠٠٨ ، مقال من صفحة واحدة .
١٦- فولكر بيرتيس،موازين القوى في الشرق الاوسط خريطة متغيرة باستمرار،ترجمة ابراهيم محمد علي ،تحرير علي المخلافي، موقع قنطرة، ٢٠١٣.
https://ar.qantara.de/node/4366 بتاريخ ٢٠١٣/٥/٢٣١
١٧- فولكر بيرتيس،مصدر سابق .
١٨- فولكر بيرتيس،مصدر سابق .
١٩-مصطفى عبد العزيز مرسي، التدخل العسكري الروسي المكثف في سورية، مجلة شؤون عربية، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد١٤٦، القاهرة، ٢٠١٦، ص٤.
٢٠- شريف شعبان مبروك،روسيا في المنطقة العربية نموذج ستراتيجي ومصالح جيوسياسية ، شؤون عربية، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، العدد١٤٦، القاهرة،٢٠١٦ ، ص١٤.
٢١- فولكر بيرتيس،مصدر سابق .
٢٢- فتحي شهاب الدين ، خطط تفتيت المنطقة هل ستأخذ طريقها للتنفيذ،مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الاستراتيجية، مايس٢٠١١.
http://alkashif.org/html/center/22/3pdf
٢٣- عادل الجوهري،برنارد لويس سياف الشق الاوسط ومهندس سايكس بيكو ،دار الكتاب العربي ،الطبعة الثانية،بيروت،٢٠١٣.
٢٤ - فتحي شهاب الدين ، مصدر سابق .
٢٥ - عادل الجوهري ، مصدر سابق .

مصادر الجداول والخرائط :

١- سلام الساعدي،سورية وتركيا اعمال بمليارات الدولارات ومعركة اللائحة السوداء،العربي الجديد،دمشق،٢٠١٤ .
٢- إدارة الجمارك الايرانية.
٣- صحيفة المغترب ،الملحق الاقتصادي،العدد٤٦. http://wwwalmughtareb
٤- مركز بيروت لدراسات الشرق الاوسط
http://wwwbeirutme.com/?page_id=4708 .
٥- موقع البوابة الاقتصادي
http://albawabacdn. Albawabamiddleea.netdna-cdn.com
٦- مركز الجزيرة للدراسات .
http://studies.aljazeera.net/ar/positionestimate/2018/10/181018143757719.html
٧- موقع كلوبال فايرباورالمتخصص بالشأن العسكري
: http://www.globalfirepower.com/countries
٨- ليلى صالح زعزوع وفتحي شهاب الدين ،مخطط التقسيم الجديد للشرق الأوسط ،وداعاً دول مجلس التعاون ،مدونة الكويت ثم الكويت ، الاثنين ١٧ سبتمبر٢٠١٢.